إدجار فولفروم

# الصاعد

## تاريخ ألمانيا من 1990 حتى اليوم

الفئة: الكتب الواقعية (التاريخ، التاريخ المعاصر، السياسة)

المؤلف: إدجار فولفروم EDGAR WOLFRUM

العنوان: الصاعد.

تاريخ ألمانيا من 1990 حتى اليوم

العنوان الأصلي للكتاب:

DER AUFSTEIGER - Eine Geschichte Deutschlands

von 1990 bis heute

الناشر: كليت كوتّا - 368 صفحة.
www.klett-cotta.de
تاريخ الإصدار: فبراير 2020

كل الحقوق محفوظة
طبع في في جمهورية ألمانيا الاتحادية
الغلاف Rothfos & Gabler :هامبورج
باستخدام صورة منplainpicture ©
تم ضبطه بواسطةDörlemann Satz ، Lemförde
الطباعة والتجليد: GGP Media GmbH، Pößneck
رقم الإيداع الدولي: 978-3-608-98317-3

البيانات الببليوغرافية
للمكتبة الوطنية الألمانية
قامت المكتبة الوطنية الألمانية بضم هذا الإصدار
إلى قائمة الببليوجرافيا الوطنية الألمانية؛
يمكن الاطلاع على البيانات الببليوجرافية المفصلة
على الموقع الإلكتروني: http://dnb.d-nb.de

**المحتوى**

مقدمة: التحولات . . . . . . .............. . . . . . . . . . . . . .7
1. الديمقراطية العملاقة المترددة وغير المستقرة؟
أسئلة مطروحة على ألمانيا...... . . . . . . . . . . . . . . . . . .13
2. جمهورية بون، جمهورية برلين:
سنوات الانتخابات والتحول الديمقراطي . . . . . . . . . . . . . .29
3. ليس عصرًا سلميًا:
ألمانيا في حالة حرب... . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .57
4. فجوة كبيرة بين الشرق والغرب؟
الوحدة الداخلية لألمانيا.......... . . . . . . . . . . . . . . . . . .79
5. في مرمى العنف:
أوروبا والإرهاب العالمي................ . . . . . . . . . . . .111
6. مُنهارة: الأزمة المالية العالمية وصدمة
الاتحاد النقدي الأوروبي............... . . . . . . . . . . . . .131
7. "يمكننا القيام بذلك:"
أزمة اللاجئين....... . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .153
8. مستقبل الكوكب:
الأمة الصناعية وتغير المناخ......... . . . . . . . . . . . . . .171
9. قارة معقدة:
أوروبا عند مفترق الطرق . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .191
10. عوالم جديدة:
الرقمنة والبيانات الضخمة...... . . . . . . . . . . . . . . . . . .213
11. الخوف والتشاؤم:
ثورة الشعبوية............. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .233
12. تعيش الجمهورية!
تجديد ثقافة التذكر الألمانية............................... . .257
الخلاصة: مرحبا بكم في منتدى همبولدت............ . . .289

**الملحقات**

الهوامش . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .. . . . . .299
قائمة المراجع... . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .. . . . . .328
شكر . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ... . . . . .364
ثبت الأسماء . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .365

# المقدمة:
# التحولات

كان تاريخ الجزء الديمقراطي من ألمانيا، الجمهورية الاتحادية، حتى 90/1989، يرزخُ تحت وطأة الصراع بين الشرق والغرب، وكان هادئًا نسبيًا، محليًا وخارجيًا على حد سواء، وهكذا تمكن الألمان في الغرب، بعد فترة القطيعة الحضارية النازية من الدخول في عملية تعلم طويلة، وفي ظل تغيّر الأجيال، من أن يصبحوا شعبًا "طبيعيًا" بصورة نسبية. في شرق ألمانيا، كان مازال هناك دكتاتورية في سدة الحكم، وكانت موجهة بشكل أساسي ضد شعبها. في الثورة السلمية عام 1989 ناضل الألمان الشرقيون من أجل الحرية والوحدة، وكانت الظروف الدولية مواتية. لذلك اجتمع شقيقان غير متكافئين في ظل وضع مليء بالنزاعات. وكما قيل في عرض مسرحي ناقد في عام 1990: "كم كانت تلك وحدة التي كنا عليها عندما كنا لا نزال منقسمين". ومنذ ذلك الحين عاشت ألمانيا، الموحدة "حديثًا" في الداخل، والتي أصبحت أيضًا لاعبًا عالميًا، تطورات لم يكن من الممكن التفكير في حدوثها سابقًا. تغيرت تلك القوة في وسط أوروبا في جميع المجالات تقريبًا.

يدور هذا الكتاب حول ألمانيا الجديدة - من عام 1990 إلى الوقت الحاضر في عام 2019. ويفحص ويصور شيئًا لم يشهده التاريخ الألماني من عام 1949 إلى عام 1990 على هذا النطاق: تغيرات كبيرة، وحركات بحث تنبع من القوة الجديدة في عالم أصبح مربكا ـ ومليئًا بالتحوّلات. هذا هو منطلق العرض في الكتاب.
من أجل جعل الجديد والتحوّل مرئيين سيتم فيما يلي مرارًا وتكرارًا عقد مقارنات مختصرة مع «الجمهورية الاتحادية» القديمة. يمتد ذلك الجديد من التحولات البطيئة في نظام الأحزاب أو الحراك الاجتماعي، وصولا إلى القضايا الكبيرة مثل الحرب وتغير المناخ.

يأتي هذا البحث بعد دراستي لتاريخ جمهورية ألمانيا الاتحادية القديمة منذ بداياتها حتى عام 1990، والتي حملت في عام 2006 عنوان *الديمقراطية الناجحة*. كانت الجمهورية الاتحادية ناجحة بشكل عام، لذلك اتخذ التاريخ الألماني مسارًا مختلفًا عن ذي قبل. السعادة ليست أبدا مجرد شيء مِن كَسب يديك، ولكنها تكون دائما نتيجة للظروف المواتية أيضًا.

جمهورية ألمانيا الاتحادية السابقة، كما قال لي الرئيس الاتحادي ريتشارد فون فايتسكر ذات مرة، كانت ديمقراطية نجحت "على الرغم من كل شيء". التفاؤل لم يتخل عني عندما كتبت هذا الكتاب، ويجب على المرء ألا يفقده أبدًا. يبدو أن ألمانيا لا تزال دولة مستقرة، وقد نجحت فيها أمور كثيرة، وفي عديد من الأشياء الأخرى كان الألمان ببساطة محظوظين. لقد حصلوا مع إعادة التوحيد في عام 1990 على فرصة ثانية، وتمكنوا من الاستفادة من اليورو والعولمة أكثر من أي دولة أخرى في أوروبا.

ومع ذلك، إذا نظرت إلى ألمانيا الجديدة منذ عام 1990، تجد أن هناك عديد من التناقضات تدخل تحت تلك الرؤية. ألمانيا: ديمقراطية غير مستقرة في الداخل وعملاق متردد في الخارج؟ هذه القضايا مثيرة للدهشة على وجه التحديد لأن كل شيء بدا إيجابيا للغاية بعد إعادة التوحيد. كانت هناك بهجة حقيقية. لقد تغلبت ألمانيا على تقسيمها الذي دام 40 عامًا، وانتهت الحرب الباردة - فما الذي يمكن أن تطلبه أكثر من ذلك، بوصفك مواطنًا ألمانيًا؟

ولكن لم يكن من الممكن دائمًا التعامل مع الدور الجديد والوفاء بالتوقعات المطروحة من الخارج. وهذا يطرح السؤال الأساسي: ما هي التقاليد الألمانية التي بقيت بعد عام 1990 - بعضها قديم جدًا وله جذوره في جمهورية فايمار أو حتى في ثورة عام 1848 - وما هي الابتكارات والتغييرات التي تمت إضافتها؟

يمكن ملاحظة حقيقة أن الكثير قد تغير في جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ عام 1990، سواء عملها على المسرح الأوروبي والدولي أو فيما يتعلق بالجوانب المحلية والاجتماعية والثقافية الاجتماعية. في نقطة التلاشي تلك، التي تتطلب إحداث تغييرات، يجب أن يؤخذ في الاعتبار أيضًا أن الحاضر الألماني بالكامل منذ إعادة التوحيد كان يعيش في ظل وجود تاريخين منفصلين من عهد ما قبل إعادة التوحيد. يتعلق الأمر أيضًا بكيفية الجمع بين التاريخين المنفصلين، تاريخ جمهورية ألمانيا الاتحادية وتاريخ جمهورية ألمانيا الديمقراطية، ويمكن كتابة تاريخ ألماني جديد بعد عام 1990، نظرًا لأن المتطلبات والتجارب التاريخية للألمان في الغرب والشرق كانت مختلفة تمامًا.

حدثت التحولات الرئيسة بعد إعادة التوحيد على المستوى الدولي خاصة، وكانت أحداث11 سبتمبر مجرد واحدة منها فقط. أصبحت الحرب مرة أخرى السمة المميزة للعصر؛ كما أصبحت ألمانيا الموحدة فجأة ليست فقط مجرد عملاقًا اقتصاديًا على الساحة الدولية، بل أيضًا عملاقًا سياسيًا تشخص إليه عيون العالم. يقوم أي نظام في الأساس على الهيمنة أو التوازن. عندما تكون هيمنة قوة واحدة غير ممكنة، يصبح وجود نظام متعدد الأقطاب مطلوبًا. يمكن اعتبار محاولة "إضفاء الطابع الغربي على العالم"، بعد 30 عامًا من نهاية الحقبة التاريخية في عام 1990 تقريبا، فاشلة. كانت ألمانيا لاعبًا رئيسًا وسط أحداث التغيير المضطربة. كما غيّرت أيضاً الأزمة المالية منذ عام 2008 العالم، وقسّمت تكتونيات الاقتصاد العالمي إلى مرحلتين: قبل الانهيار، كانت هناك مرحلة 50 عامًا من التقدم المتزايد، متبوعًا بمسار شاق للتقدم.

كما أن الإرهاب الإسلاماوي والحروب وعودة القومية - كل ذلك أثر على أوروبا وألمانيا. كان على المرء أن يتصرف في عالم من المشاكل المتداخلة. ظهرت مشاكل جديدة في جميع المجالات، ولا سيما تغير المناخ، والنزوح والهجرة. وقد أدى مجتمع المعلومات والرقمنة والبيانات الضخمة إلى تحول في بيئات المعيشة اليومية والفرص والتحديات المرتبطة بها.

حقيقة أن كل هذه الجوانب أدخلت الأمر الوطني والأوروبي والعالمي في عملية تبادل مستمر، وأن التفاعلات الدائمة حددت الواقع، وأذكت التغيير، وضعت الاضطرابات والخوف والتشاؤم في بؤرة تركيز المجتمع. فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، كان توسع أوروبا و9/11 والأزمة المالية نقاط فاصلة. على الصعيد المحلي تمثلت النقاط الرئيسة في مرحلة الاستنفاد في عصر هلموت كول وأزمة إعادة التوحيد في التسعينيات، والعصر "الأحمر والأخضر" بين عامي 1998 و2005، حيث كانت الجمهورية تشهد تغيرًا سريعًا، وحكم أنجيلا ميركل الطويل عندما نهضت ألمانيا لتصبح الدولة المهيمنة في أوروبا.

كانت "عودة ألمانيا" (1) بعد عام 1990 في ظل تحولات السياسة العالمية وبالنظر إلى الاختلافات الكبيرة والصغيرة بالداخل - نتيجة لمجتمع كان عليه أن ينمو معًا مرة أخرى بعد انقسام طويل – تتسم بالنزاعات أكثر بكثير من التاريخ من عام 1945 حتى ذلك الحين.

*الصاعد*، وهو عنوان هذا الكتاب، له بالطبع حدوده، ولكن هذه الصورة تعبر عن العديد من الجوانب والتغيرات بشكل جيد. بعد عام 1990 صعدت ألمانيا إلى موقع الصدارة في المجتمع الدولي - حيث كانت في السابق تشغل مكانةً في المجال الاقتصادي فقط، فقد كانت معروفة منذ منتصف الخمسينيات بأرض المعجزة الاقتصادية. نتيجة للوحدة الألمانية غير المتوقعة، أضاف الصعود السياسي أيضًا إلى القوة الاقتصادية، وهو صعود لا مثيل له، كان على البلاد أولاً قبوله أو التعامل معها. وقد جعل ذلك الكثير من الألمان يشعرون بالراحة والسكون إلى فكرة أنهم أصبحوا يعيشون فيما يشبه "سويسرا الفائقة". من ناحية أخرى كانت التوقعات الخارجية هائلة. حقيقة أن بعضًا من تلك التوقعات لم تتحقق لم يكن فقط بسبب التوقعات المبالغ فيها، ولكن أيضًا بسبب الشك الألماني في النفس، والقيود السياسية والاجتماعية وقيود الماضي السياسية. لذلك لم يكن "الصاعد" مجرد "الفتى النابغة"، أو في بعض الأحيان "الطموح" وحسب، بل كان يرتبط أحيانًا بسمة عدم الاستقرار أيضًا. كان غير آمن ويكافح من أجل وضعه. كانت أوجه عدم اليقين هذه المتعلقة بالوضع واضحةً أيضًا في الداخل. لم يقتصر الأمر على تصنيف الألمان من بين "أكثر الشعوب التعيسة" في العالم، على الرغم من الثروة الأكبر، ولكن ظهرت هشاشة جديدة في البلاد، والتي لم تكن فقط بسبب مشكلات "الوحدة الداخلية" الغربية-الشرقية. تعرضت صورة الألمان كتلاميذ نموذجيين للديمقراطية إلى تصدعات، وانتشر انعدام ثقة جديد في الدولة والمجتمع.

الاستقطاب في كل مكان: بالنسبة للبعض أصبحت ألمانيا مكانًا لمشاعر الاشتياق، وبالنسبة للبعض الآخر مكانًا لمشاعر الخوف أو الخشية من السلطة الجديدة في وسط أوروبا. كل هذه الصفات والتفاعلات تظهر عندما يتم التفكير في أوجه ارتباط ذلك "الصاعد". كل التاريخ مفتوح، ولكن ما وصلنا إليه اليوم يحتاج إلى حكاية وشرح بشكل مستمر. بصورة مؤقتة، وهو الأمر الذي يدركه التاريخ المعاصر، سيتعلق فيما يلي: بمحاولة شرح وفهم اليوم من منظور الماضي القريب.

أشار الخبير الفرنسي في الشؤون الألمانية "دانييل فيرنيه" من صحيفة "لوموند" في أوائل التسعينات إلى نابليون الذي قال ذات مرة إن الحالة الطبيعية للألمان هي التطور وليس الثبات. (2) ما إذا كان هذا القول لا يزال ساريًا في الوقت الحالي، هذا هو السؤال؟

## 1. الديمقراطية العملاقة المترددة وغير المستقرة؟

### أسئلة مطروحة على ألمانيا

مع إعادة التوحيد عام 1990 تغيّرت الجمهورية الاتحادية، وأصبحت أكبر إقليمياً وأكثر سكاناً، وبين عشية وضحاها، تلبّست ألمانيا الجديدة، جمهورية برلين، بدور قوة قارية كبرى ذات وزن سياسي عالمي. كان العرض الذاتي لجمهورية ألمانيا الاتحادية يتغير تدريجيًا أيضًا، وانتشرت المخاوف في أوروبا حول الكيفية التي ستعمل بها تلك القوة المهيمنة التي كانت حتى ذلك الحين نسبيًا "قوة مُهيمنة طيبة". في الوقت نفسه أشارت استطلاعات الرأي في جميع أنحاء العالم إلى أن ألمانيا أصبحت الدولة "الأكثر شعبية" في العالم، وهو تطور لم يكن من الممكن تصوره تمامًا في عام 1945. أثرت مشاكل "الوحدة الداخلية" على ألمانيا نفسها. كانت ألمانيا دولة مقسمة بين الشرق والغرب، وانتشر التشاؤم في وسط المجتمع، وهدد ذلك بإلحاق الضرر بالجمهورية. عملاق متردد في الخارج، ديمقراطية غير مستقرة في الداخل؟

كان توحيد ألمانيا في 3 أكتوبر 1990 يعني حل مشكلة القرن: القضية الألمانية. ثلاثة أشياء أوضحت ذلك: أولاً، موقع ألمانيا، وحدودها، وثانيًا، السؤال القديم عمّا إذا كان ينبغي في حالة الشك إعطاء الحرية أم الوحدة الأولوية، لأنه كان هناك في ذلك الوقت إعادة توحيد في السلام والحرية، وثالثا، لم تعد ألمانيا مشكلة للأمن الأوروبي، إذ تم دمجها في الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي "ناتو" وعديد من المنظمات الأخرى فوق الوطنية. (1) تم علاج المرض الألماني القديم المتمثل في التأرجح بين الشرق والغرب.

ولكن ماذا تبع ذلك كله؟ ما هي الجمهورية الاتحادية الجديدة؟ هل كانت مفعمة بالقوة أم أنها كانت "شبه قوية" وحسب؟ هل كانت بطلة عالمية للتصدير وأصبحت بسرعة أيضًا بطلة للعالم في الأخلاق وعاشت بالكامل تبعًا لوجهة نظرها؟ لم تكن غالبية القومية الألمانية مغرورة ولا متوحشة ولا متغطرسة. كانت القومية صعبة وتم التعبير عنها باعتبارها الوجه السلبي للشعور الوطني المبالغ فيه. الصورة الذاتية الألمانية، كما رآها المراقبون الدوليون في 2018، أدت إلى "التحول إلى أسلوب ميركل"، وهو ما قصدوا به المراوغة في السياسة الألمانية، وكسب الوقت، وتجنب اتخاذ القرارات، (2) التي اتسمت بها المستشارة أنجيلا ميركل.

وطبقاً للنتيجة فإن أقوى دولة في أوروبا تقبلت بنجاح وضعها الجديد، ولكنها لم تف بمسؤوليتها. كان التناقض مع التصور الخارجي لألمانيا هائلا. من ناحية، كان هناك من أعجبوا بإنجازات ألمانيا وأشادوا بالدور التبشيري لها في أوروبا، ومن ناحية أخرى، أولئك الذين حذروا من هيمنة ألمانيا وتحدثوا عن نشأة "قضية ألمانية" جديدة تنذر بالسوء.

كانت توجد بينهما جميع الأطياف الممكنة من وجهات النظر هذه أو تلك. جاء أعظم المعجبين بألمانيا تحديدا من البلدان التي لم يكن الرأي العام فيها وديًا تجاه ألمانيا: بريطانيا العظمى وإيطاليا. "السيد المتردد"، أو السيد الذي يتردد في لعب دوره، كان اسم كتاب للصحفي البريطاني الشهير "ستيفن جرين" عام 2014. (3) لم يوضح الكتاب فقط كيف تعامل الألمان مع النازية وجرائمها بطريقة نموذجية؛ بل كان إعجابه بألمانيا متجذرًا أيضًا في إنجازاتها الثقافية: لم تكن هناك ثقافة في الكوكب بأكمله أكبر وأكثر إثارة للإعجاب من ثقافة ألمانيا؛ مساهمة ألمانيا الثقافية والفكرية فريدة في العالم، حسب قول مؤلف الكتاب.

يعتقد النقاد أن السبب الرئيس كان الحماس التقليدي لدى بعض المثقفين البريطانيين تجاه ألمانيا. ربما يمكن قول هذا أيضًا عن المؤرخ البريطاني الأكثر شهرة في ألمانيا: "نيل ماكجريجور". لم يتمتع أي مؤرخ من

المملكة المتحدة بمثل هذا النجاح الصحفي والمؤسسي في ألمانيا مثله. وقد كان على أي حال مديرًا للمتحف البريطاني من عام 2002 إلى عام 2015، قبل أن يتم تعيينه مديرًا لمنتدى هومبولت، أحد أهم مظاهر السياسة الثقافية وأكبر مشروع استعراضي ضخم في جمهورية برلين. في عام 2015 حصل على وسام جوته والجائزة الوطنية الألمانية.

حاول ماكجريجور أن يشرح لمواطنيه في برنامجه الإذاعي موضوع تطور الألمان في تاريخهم، خاصة في السنوات الـ 500 الماضية منذ "مارتن لوثر". ثم أطلق على كتابه باللغة الألمانية "ألمانيا. ذكريات أمة". (4) الذين شاهدوا البرامج في بريطانيا العظمى، والذين قرأوا الكتاب في ألمانيا اعتقدوا على الفور أنهم يفهمون لماذا يكون الألمان كما هم. لا يمكن إلا لبريطاني من خلال قراءته الترفيهية للماضي أن يشعر بإعجاب حقيقي لألمانيا دون إغفال الجانب الإجرامي للتاريخ الألماني-أو لإيطالي، فكتاب "أنجيلو بولافي" *"قلب ألماني ـ نموذج ألمانيا والأزمة الأوروبية"* أصاب عديد من المثقفين الألمان بحُمرة الخجل. "بولافي"، عالم سياسي وفيلسوف يساري الفكر، كان مدير المعهد الثقافي الإيطالي في برلين لسنوات عديدة وكان يُعد أحد أبرز الخبراء الإيطاليين في الشأن الألماني، وقد تحدث في كتابه عن "عصر جيوسياسي جديد في تاريخ البشرية". في قلب أوروبا، في ألمانيا، تجمّعت عمليات العولمة، التي كانت ملحوظة منذ فترة طويلة، وأشعّ نموذج ألمانيا الديمقراطية جاذبيته على أوروبا بأسرها. لأول مرة في تاريخها لم يكن على أوروبا أن تتحد ضد شيء، بل أن تتحد من أجل شيء. وأضاف قائلا إنه لا توجد دولة أخرى غير جمهورية ألمانيا الاتحادية بوصفها الأمة الأوروبية الرائدة قادرة على السيطرة على التحديات الرئيسة. اعتقد "بولافي" أنه يمكن أن يقول بحق إن "أوروبا يجب أن تصبح ألمانية بنفس الدرجة التي أصبحت بها ألمانيا بصورة كاملة وعن اقتناع أوروبية". (5) حتى في إسرائيل، أعيد تقييم صورة ألمانيا بعد إعادة التوحيد، لأن الجمهورية الاتحادية كانت لها علاقات خاصة مع هذا البلد، في حين كان يُنظر إلى أجزاء كبيرة من أوروبا على أنها معادية لإسرائيل أو معادية للسامية؛ غالبًا ما كانت ألمانيا تبدو "آخر صديق" لإسرائيل.

بالطبع واجهت هذه الصورة المبهجة لبرلين انتقادات، خاصة في ألمانيا نفسها، كما لو كان هناك صدمة حيال ذلك. هل توجد رغبة بشكل خاص هنا في أن يجعل المرء نفسه أقل شأنا؟ ألا يرغب المرء في أن يقود، بل يريد أن يختبئ؟ أليس من الجميل أن تتحرك في ضوء مجرى التاريخ العالمي؟

كشفت استطلاعات أجرتها (بي بي سي) في عامي 2013 و2014 بين أكثر من 20000 شخص في 18 دولة شيئًا مفاجئًا: "ألمانيا الدولة الأكثر شعبية في العالم". كيف يمكن لألمانيا، التي كانت عام 1945 بعد جرائم الحرب العالمية الثانية ومحرقة الهولوكوست منبوذة من المجتمع الدولي، ليس فقط الحصول على اعتراف في العالم، بل أيضًا أن تصبح في بداية القرن الحادي والعشرين "الدولة الأكثر شعبية في العالم"؟ كان لإعادة تقييم الماضي وإضفاء الطابع الديمقراطي على المجتمع تأثير، "المعجزة الاقتصادية" والتحول الليبرالي الأساسي منذ الستينيات، ولكن كان هناك أيضًا شخصيات تاريخية مثل "كونراد أديناور" و"فيلي براندت"، وأخيرًا وليس آخرًا أشاد المشاركون في استطلاع الرأي بالقوة الاقتصادية والاستقرار السياسي للبلاد.

ولعل كأس العالم 2006 في ألمانيا كان له تأثير أيضًا، حيث تطورت تلك الفعالية إلى ما يشبه "حدوته صيفية". ظهر "الألماني الودود" وليس "القبيح" أمام العالم. لم يعد بورجوازيًا صغيرًا وجافًا وضيق الأفق، ولم يعد عبدًا للدولة ذات السيادة، ولم يعد يمارس النقد باستمرار؛ ولم يعد يتجول وفي يده أقداح الشراب ويصرخ في الناس باستمرار "انتباه" كما هو الحال في عديد من الأفلام الشعبية حول الحرب العالمية الثانية، والتي كانت شائعة بشكل خاص في بريطانيا. ثم كان الطقس ذلك الصيف جيدًا بشكل مدهش. كان كأس العالم حفلة كبيرة. كل أولئك الذين أحبوا السخرية من الألمان، واصفين إياهم بأنهم كئيبون، لا يعرفون الفرح، ومصابون بالوساوس، تفاجأوا وفركوا أعينهم. قليلون كانوا يعتقدون أن الألمان مرحون للغاية.

أصبحت ألمانيا محبوبة إلى حد ما. في الداخل، أي في داخل ألمانيا نفسها، كان للوطنية السعيدة تأثير إيجابي، وخاصة بين جيل الشباب. يعتقد المرء أنه يمكن أن يشعر بشعور كبير بوجود انطلاقة، وليس مجرد وميض مؤقت. كانت سمة معظم الألمان مدنية أكثر منها حربية، وكانت ألمانيا ديمقراطية مستقرة تتمتع بالاحترام في المجتمع الدولي.

لم يكن لدى هؤلاء الألمان أي شيء مشترك مع أولئك الذين يعود تاريخهم إلى عام 1945، وبدا أن الجملة الجميلة التي كتبها الراوي العظيم للتاريخ الألماني "جولو مان" أصبحت حقيقة: التاريخ يظهر لنا من أين أتينا - ولكنه يوضح لنا أيضًا ما لم نعد عليه. (6) كانت ألمانيا تتقدم أيضًا في الحقائق الأصعب، فحسب دراسة من المجلة الأمريكية News and World Report وبالتعاون مع الجامعات الأمريكية، كانت ألمانيا أفضل بلد في العالم.

تمت مقارنة 60 دولة في عشر فئات، بما في ذلك: المغامرة، ونوعية الحياة، والقوة وريادة الأعمال. حققت ألمانيا أداءً جيدًا في جميع الفئات وسجلت أداء جيدًا بما فيها من بيروقراطية تعمل بشكل جيد، وسكان متعلمين جيدًا واقتصاد قوي. وهكذا نجح التكوين الجديد للأمة الألمانية – الذي كان مستهدفًا في أثناء التوحيد عام 1990 وبعده. كانت ألمانيا دولة قومية في العصر ما بعد الكلاسيكي، تم تصنيفها على أنها "قوة عظمى" لأنها اندمجت في هياكل وهيئات فوق وطنية متنوعة. تعلم الألمان من تاريخهم وفهموا أنهم بعد حربين عالميتين وجرائم شنيعة قد مُنحوا فرصة ثانية غير متوقعة، وهذا أمر نادر الحدوث في الحياة. (7) وساد توقع بأن الوحدة الخارجية ستتبعها بسرعة الوحدة الداخلية، "وستصبح الأرض مزهرة". كان هذا الوهم الأول. لم يمر التحول من اقتصاد اشتراكي مخطط إلى اقتصاد سوق اجتماعي بسلاسة، فقد حدث تصدّع كبير بين الغرب والشرق، وتم التهوين بشكل كبير من حجم الأعباء اللاحقة لـ "تنمية الشرق".

في عديد من الأماكن حول العالم، من أوروبا إلى أمريكا الجنوبية، انتصرت الحركات الديمقراطية وانهارت الأنظمة الشيوعية والديكتاتوريات العسكرية. بدت الديمقراطية والحقوق المدنية قوية ولا تقبل المنافسة لجعل الأنظمة الاستبدادية شيء من الماضي. كان هذا الوهم الثاني، ففي عديد من الدول والمجتمعات، حتى في أوروبا والولايات المتحدة، بعد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، كان هناك تراجع في الديمقراطية، وربما اندفاع عكسي للتاريخي، نوع من الثورة الشعبوية. شاركت ألمانيا أيضا في هذا التطور.

كان التاريخ، كما ظن الكثيرون في 90/1989، قد انتهى، انتصرت الرأسمالية الليبرالية في جميع أنحاء العالم، وانتشر عصر سلمي طويل، عصر ذهبي جديد من الرفاهية المستمرة. كان هذا الوهم الثالث. ظهرت حروب جديدة، على أبواب المجموعة الأوروبية أيضًا، في جنوب شرق أوروبا، وبرز إرهاب دولي وحشي، كان الوضع الأمني أكثر خطورة مما كان عليه خلال الحرب الباردة.

وأخيرًا: ألم تُظهر الصور من الفضاء الكوكب الأزرق الجميل والهش؟ إذا تضامن الجميع وتعاونوا من أجل الصورة الأكبر، يمكن جعل سفينتنا الفضائية الصغيرة، التي هي الأرض، تزدهر، ويمكن تحسين عوالم الحياة الأرضية، ويمكن حل القضايا البشرية مثل تغير المناخ. كان ذلك هو الوهم الرابع. لم يقتصر الأمر على اتساع الفجوة العالمية بين الأغنياء والفقراء وعدم التغلب على الجوع؛ بل أيضًا فيما يتعلق بمكافحة تغير المناخ فقد كان أكبر تقدم تم تحقيقه مجرد تحرك في نفس المكان.

كان هناك مزيد من الخداع على المستوى الوطني والدولي. وكثير من تلك الافتراضات وذلك الخداع تعلق أيضًا بجمهورية ألمانيا الاتحادية. ماذا كانت؟ أمة مرتاحة ومسترخية أم غير آمنة ومترددة؟ إلى أين يجب أن تُشير بوصلة التوجيه؟ هل أراد المرء أن يكون أفضل أوروبي، أفضل صديق للولايات المتحدة - وكيف يجب على المرء أن يتصرف إذا لم يرغبوا في المزيد، أو على العكس، إذا كانوا يريدون المزيد؟ أجريت استطلاعات الرأي المذكورة أعلاه في وقت الأزمة المالية، حيث كان دور ألمانيا في أوروبا مثيرًا للجدل

إلى حد كبير. هل تم تكليف ألمانيا منذ عام 1990 بمهمة العمل بنشاط لإحياء الفكرة الأوروبية، هل كان "الحلم الأوروبي" فعّالًا فقط تحت القيادة الألمانية أم لم يكن كذلك على الإطلاق؟ هل كان على ألمانيا بناء ثِقل معين يحقق التوازن مع القوة العظمى الوحيدة المتبقية المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، على الأقل من خلال تواجدها في المنظمات متعددة الأطراف؟ أين كان مكان ألمانيا في العالم؟ هل كان يجب أن يكون ذلك المكان زاوية هادئة أم مكانة قيادية؟ ثالث أو رابع أكبر قوة اقتصادية وواحدة من أغنى البلدان على وجه الأرض، وهي دولة اكتسبت ثِقلا سياسيًا هائلًا على الصعيد الدولي، وكانت تكاد تكون كبيرة جدًا بالنسبة لأوروبا وصغيرة جدًا بالنسبة للعالم، ولا تزال من بين الدول العشرين الأكثر اكتظاظًا بالسكان على وجه الأرض - بلد بهذا الحجم والازدهار لا يمكنه تجنب أي من تلك المشاكل، حتى لو أراد ذلك. كانت ألمانيا عامِلا عالميًا.

قدمت دراسة من قبل الجمعية الألمانية للتعاون الدولي بعنوان "ألمانيا في عيون العالم" عام 2015 النتائج التالية: "يتمنى المرء أن تكون ألمانيا لاعبًا قويًا في هيكل السلطة العالمي، ويرى أنها تحرز تقدمًا في أداء هذا الدور، لكنه لا يزال يؤمن بامتلاكها إمكانيات غير مستغلة حتى الآن". الجديد في الاستطلاع الحالي: هيمنة ألمانيا هي بالفعل حقيقة بالنسبة لكثير من المراقبين، على الأقل فيما يتعلق بأوروبا. ومع ذلك فإن الأغلبية لا يُشعرهم ذلك بالقلق أو الخوف، بل إن الأشخاص الذين تم سؤالهم كانوا يستمدون من ذلك المزيد من المطالبات من ألمانيا، ويصبحون أكثر تحديدًا وأكثر انتقادًا في تقييمهم. نظرًا لإمكانيات ألمانيا الاقتصادية التي أثبتت فعاليتها عدة مرات، فقد أصبح حضورها السياسي القوي ورؤاها السياسية أمرًا مطلوبًا - قبل كل شيء في أوروبا ومن أجل أوروبا، ولكن أيضًا خارج الحدود الأوروبية. كما تم التطرق مرارًا إلى توسيع قوة ألمانيا المعروفة، أي "قوتها الناعمة"، لتشمل مزيدًا من المشاركة في حل النزاعات العسكرية.

"مثل جميع" القوى العظمى" الأخرى يجب أن تتعلم ألمانيا اتخاذ موقف شجاع، على الرغم من إدراكها الكامل لتاريخها، وأن تكون أكثر التزامًا بنظام الأمن الدولي". (8) كيف أمكن الوصول إلى تلك المطالبات؟ التهوين من الماضي الألماني؟ مطالبة ضرورية؟ سوء فهم الاحتمالات؟ المبالغة في تقدير الألمان؟ مجرد لقطة؟ هل سيتم وضع "القوة الخلاقة: ألمانيا"، التي هي "القوة في الوسط" (9)، ليس بشكل دائم ولكن بصورة تلقائيَّة موضع شك في أنها تسعى إلى الهيمنة؟ أم أن ألمانيا خشيت المسؤولية ببساطة، وكانت، من ناحية، شديدة التركيز على ذاتها، وغير قادرة على القيادة على الإطلاق، ومن ناحية أخرى، لم تجد مؤيدين لمواقفها؟ (10)

في عام 2015، وقبل نصف عام من وفاته، قال "هانز- ديتريش جينشر"، وزير خارجية جمهورية ألمانيا الاتحادية لفترة طويلة: "مستقبلنا هو أوروبا - ليس لدينا مستقبل آخر". (11) يبدو أن معظم الألمان يشاركونه هذا الرأي، إلا أن ما يعنيه ذلك بالضبط ظل ضبابيًا. إذا تصرفت القوة الأوروبية المهيمنة بمسؤولية، فهل يجب عليها فرض مصالحها أم تأخيرها من أجل أهداف مشتركة أعلى؟ السياسة الحزبية الألمانية، التي تطاردها الانتخابات وعملية كسب المؤيدين، لم تقدم إجابة على هذا السؤال. بقيت "أسئلة كيسنجر" البسيطة، التي تحمل اسم وزير الخارجية الأمريكي الأسطوري، دون إجابة: "ما الذي نريد بالضرورة تحقيقه؟ ما الذي نريد بالضرورة منعه؟"

استندت جميع الإجابات على الرغبة في أن تكون ألمانيا أصغر من أي وصف أجنبي لها. ببساطة، لم تكن هناك قومية كبيرة بهذا الحجم، ولم يكن الموقف الذي تم تعيينه لألمانيا دوليًا يلبي التوقعات الاجتماعية. كان من الواضح أن الاستناد إلى الماضي الألماني أتاح أيضًا الاستمرار في اتخاذ قرارات صعبة تتعلق بسياسة التحالف، وفقًا لنوعية الفرص السياسية الداخلية المتاحة ومعسكرات الرأي الداخلية بألمانيا. أدرك العالم الخارجي في ذلك أن هناك مسارا يتسم بعدم القابلية للتبؤ به بخطواته. هل كانت ألمانيا ـ ضد إرادتها

ـ قوة عالمية؟ ألم تجد الدولة سياسة خارجية توازي وزنها الهائل؟ وجد دعاة السلام أنه من المخزي أخلاقيًا أن ألمانيا قامت بتصنيع وبيع الأسلحة، وفي المقابل أشار دعاة البرجماتية إلى الالتزامات الدولية.